تحصينات بغداد الشرقية في العصر العثماني

أ.م.د. سعدي إبراهيم الدراجي
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(**خلاصة البحث**)

يعد سور الجانب الشرقي من أهم المعالم العمرانية البارزة لمدينة بغداد في العصر العباسي، وقد أحاط منطقة دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها من محلات وأسواق ودور سكنية. وبدأ العمل به في عهد الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ ـ ٥١٢هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨م) كما تذكر مصادرنا العربية.

إن من البواعث المهمة على إقامة سور بغداد الشرقية هو الفتن والحروب فضلا عن كثرة ما تتعرض إليه المدينة من أضرار بسبب فيضان نهر دجلة، الأمر الذي شجع الخلفاء العباسيين على أحاطتها بسور لتأمينها من الغرق والحصار.

لقد حاول البحث الوقوف على طبيعة بناء السور وأبعاده ومقدار محيطه، وكذلك مساحة المدينة من خلال تقديرات الرحالة الأجانب أو الخرائط التي رسمها بعض المهندسين للمدينة خلال القرن التاسع عشر. كما أحصى البحث عدد الأبراج الكبيرة التي كانت بمثابة القلاع، وأخرى صغيرة لدعم السور وتقويته. وكذلك الوقوف على الخندق وقياساته وفوائده.

وركز البحث على مداخل المدينة وأبوابها الأربعة (باب السلطان وباب الظفرية وباب الطلسم وباب كلواذا)، وكانت هذه الأبواب على عادة المدن الكبيرة تغلق ليلا وتفتح عند مطلع النهار. وقوام تصميمها أبراج كبيرة تتقدمها قناطر مرفوعة على عقود فخمة مبنية بالآجر، والقناطر بطبيعة الحال تمتد فوق الخندق لتفضي إلى السهول المفتوحة خارج الأسوار.

أما تصميم الأبراج الأربعة فيختلف بعضها عن بعض الآخر فالبابين الوسطاني والطلسم دائريين في حين باب السلطان مصمم على شكل برج قائم الزوايا وبرج كلواذا كان مثمنا. وجميع الأبواب معززة باستحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمى منها بالبنادق وفتحات أخرى كبيرة للمدافع استحدثت في العصر العثماني.

كما تناول البحث قلعة بغداد الداخلية المعروفة بـ (ايج قلعة سي) بوصفها أقدم مثال بني في العراق وبنائها كان على الأرجح في أواخر حكم

الأسرة التركمانية القره قوينلو (دولة الخروف الأسود). خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وبعد أن خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤م، اتخذها العثمانيون في أول عهدهم مقرا للحكم.

تمهيد:

بعد بناء بغداد المدورة في الجانب الغربي من بغداد سنة ١٤٥هـ واستكمال خططها، عزم الخليفة ابو جعفر المنصور أن ينشئ محلة في الجانب الشرقي مفصولة عن مدينته تضم مجموعة من الأبنية لتكون مقراً للمهدي وجيشه القادم من خراسان فسميت بـ (عسكر المهدي). ثم عرف هذا الجانب بـ (الرُصافة). وأول بناء شيد في هذا الموضع هو المسجد الجامع ثم قصر المهدي وحولهما باقي القطائع[١]. وعقد المنصور جسراً فوق نهر دجلة يربط به الجانب الغربي بمحلة الرصافة الجديدة. وقد أتم المهدي بناء الرصافة بعد وفاة والده وتوليه الخلافة بسنة واحدة أي في سنة ١٥٩هـ (٧٧٦م) [٢]."وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا، وأجرى لها الماء"[٣] وسرعان ما أمتدت القطائع المختلفة التي أقتطعها المهدي لضباطه والمقربين له حول مركز الرصافة في الناحيتين الشمال الشرقي والجنوب الشرقي حتى أصبحت مع مرور الزمن محلات كبيرة واسعة تزهو بأسواقها وبساتينها ودروبها وسككها ومرافقها العامة. وصارت الرصافة وحدها بقدر مدينة المنصور[٤]. وموضعها على وجه التأكيد جنوب تربة الأمام أبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) المعروفة بمقبرة الخيزران. ويبدو إن توسع بغداد الشرقية وأزدهارها بسرعة كان على حساب بغداد المدورة التي اهملت وآلت بمرور الأيام إلى الخراب[٥].

وعلى الأرجح أن سور الرصافة لم يستقم أمره طويلا، بدليل أنه لما قدم المستعين بالله إلى بغداد سنة ٢٥١هـ(٨٦٥م) لم يجد سورً فعالاً في الجانب الشرقي فأضطر إلى بناء سور جديد هناك يحتمي به. ولعل من ألأسباب التي سرعت في اختفاء سور الرصافة هو كونه مبني بالرهص (الطين)، وكانت جميع منشآت الرصافة في هذا العهد مبنية "بالرهص إلا ما يسكنه المهدي وولده"[٦].

ولا شك إن أهم المنشآت التي أقيمت في الجانب الشرقي من بغداد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هي التحصينات التي شيدها المستعين عندما فر من الجند الأتراك بسامراء بسبب الاضطرابات التي قام بها الجيش التركي عقب مقتل أحد قادتهم الكبار. مما شجع المستعين أن ينحدر على عجل إلى بغداد ليحتمي بأهلها ويستعين بهم في الوقوف بوجه الأتراك. وحال وصوله

أمر بتحصين المدينة لأنه كان يدرك أن الجيش التركي الذي قرر عزله ومبايعة المعتز بالله بالخلافة سوف يتعقبه سريعا الى بغداد.

تمثلت استحكامات المستعين بسور وصفه الطبري (ت٣١٠هـ) وحدد أمتداده في الجانبين الشرقي والغربي بقوله: وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، ومن دجلة من باب قطيعة أم جعفر حتى أورده قصر حميد بن عبد الحميد، ورتب على كل باب قائدا في جماعة من أصحابه وغيرهم، وأمر بحفر الخنادق حول السورين ...."[٧].

أذن المستعين أمر قائد قواده محمد بن عبد الله الطاهر ببناء سورين حول المدينة للدفاع عنها، الأول يحيط بالجانب الشرقي ويضم داخله المحلات الثلاث (الشماسية والرصافة والمخرم). والثاني يحيط ببغداد الغربية وكان يضم داخله المحلات المهمة حول مدينة المنصور[٨]. ويبدو إن السور كان متين البنيان عريضا ومرتفعا ومدعما بعدد من الأبراج مشحونة بالمجانيق والعرادات، فضلا عن الخندق الذي أمر المستعين بحفره حول السورين. وقد ذكرت مصادرنا شيئا عن أبواب السور الثلاث عشر وأسمائها في أثناء سير المعارك والحصار الذي فرضه الجيش التركي على المدينة. وصفت بأنها محصنة بموانع تعيق تقدم العدو حيث نصبت أمامها ألواح عليها مسامير وأوتاد تسمى (شداخات) وجدت لمنع المهاجمين من الوصول إلى أبواب المدينة[٩]. ولعل صمود أهل بغداد خلف الأسوار وكثرة الموانع وقوة التحصينات التي تفاجئ بها المهاجمون كانت السبب في طول مدة الحصار الذي فرضه جيش سامراء عند محاولته اقتحام المدينة. بيد إن هناك من يعتقد إن سور المستعين كان وقتياً لذلك سرعان ما زال ولم يبق له أثر[١٠]. وأخر يرجح إنه تهدم في فيضان عام ٣٣٠هـ(٩٤٢م)[١١]. حيث غرقت بغداد بجانبيها الشرقي والغربي وتهدمت أجزاء كبيرة من المدينة المدورة.

والمعلم الأبرز في بغداد الشرقية صار ما يعرف بدار الخلافة، وتقع جنوب سوق الثلاثاء. وقوامها مجموعة من المنشآت الحكومية والقصور الخاصة بالخلفاء والوزراء ورجال الدولة، أحيطت بسور محكم. وقد أتخذها الخلفاء العباسيون مقرا لحكمهم بعد عودتهم من سامراء سنة (٢٧٩هـ - ٨٩٢م). ومن المؤكد إن هذا السور لم يكن مصمما بشكل أساسي لأغراض دفاعية ضد الغزوات الخارجية، بل جدارا يعزل مشتملات دار الخلافة وقصورها عن المناطق السكنية المجاورة[١٢]. وقد وصف السور بأنه نصف دائري أحاط بقصور الخلفاء والبساتين الملحقة بها كالقصر الحسني وقصر الفردوس وقصر التاج ودار الشجرة والدار المربعة والدار المثمنة ودار الوزارة والدواوين

وغيرها. وكانت هذه المشتملات تشغل مساحة واسعة من الأرض تمتد على ضفة دجلة زهاء كيلو متر واحد. وسورها نصف الدائري يبدأ طرفه الشمالي من ضفة دجلة عند شريعة شارع السموأل ويضم داخله منطقة المربعة الحالية وينتهي بدجلة غير بعيد من جسر الجمهورية اليوم. (المخطط ـ ١).

وكان لسور دار الخلافة تسعة أبواب تبدأ من الشمال بباب الغربة ثم باب سوق التمر وبقربة باب بدر أو باب الخاصة يليه باب النوبي ثم باب العامة ثم باب النصر ثم باب البستان ثم باب الخاصة الجديد ثم باب المراتب. وكان في دار الخلافة شارع رئيس يمتد من باب الغربة إلى باب المراتب موازياً لنهر دجلة ومكانه اليوم ما يسمى بشارع المستنصر[١٣].

ومن المفيد ذكره نوع آخر من التحصينات التي يلجأ إليها عادة سكان بغداد في أيام الفتن المذهبية والحروب الأهلية، حيث يقوم الناس بتحصين حاراتهم وعزلها عن باقي أقسام المدينة بجدر لها أبواب خوفا من هجوم خصومهم. وصار لكل محلة بابان عامان معقودان بالآجر يسمى كل واحد منهما (العقد). وكلمة (عقد) أصبحت في العصور الأخيرة تطلق على المحلة كلها[١٤].

بغداد الشرقية (سورها وأبوابها):

يعد سور الجانب الشرقي من أهم المعالم العمرانية البارزة لمدينة بغداد في العصر العباسي، وقد أحاط منطقة دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها من محلات وأسواق ودور سكنية.

بوشر ببناء السور في عهد الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ ـ ٥١٢هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨م) كما تذكر مصادرنا العربية[١٥]. إذ يصف ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يوم البدء بالعمل في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، وما رافقه من احتفالات عمت شوارع بغداد وحاراتها وقد شارك بها البغاددة على اختلاف طبقاتهم ومهنهم فيقول: خرج الوزير عميد الدولة أبو منصور فخط السور على الحريم وقدره ومعه المساح، وتقدم بجبايات المال الذي يحتاج إليه عقارات الناس ودورهم، وأذن للعوام في الفرجة والعمل، وحمل أهل المحال السلاح والأعلام والبوقات والطبول، ومعهم المعاول والسبسلات[١٦] وأنواع الملاهي من الزمور والحكايات والخيالات....."[١٧].

ويبدو إن السور لم يكتمل في هذا العهد حيث أنجز قسما منه والقسم الأخر أنجز في عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ / ١١١٨ ـ ١١٣٥م) الذي رفض أن يُنفق على بنائه مما جُبي من أموال الناس وأنفق عليه من ماله الخاص، وقد بدأت عمارته باحتفالات كبيرة وذلك يوم السبت في

النصف من صفر (٥١٧هـ).[١٨] وأذن للناس بالتفرج عليه والمشاركة في العمل فصار كل أهل محلة يعملون أسبوعا حتى تم بناءوه بالكامل[١٩]، وأصبح يحيط بدار الخلافة وسورها وجميع المحلات التي أنشأت حولها.

وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة عن سور بغداد وتحصيناتها الدفاعية في كتب السلف، إلا أنه يمكن معرفة أخبار السور العمرانية في خضم الأحداث التاريخية الجسام التي شهدتها المدينة في العصر العباسي، ومنها الحروب والكوارث الطبيعية. إذ جعل ابن الجوزي كثرة ما تتعرض إليه بغداد من أضرار من جراء فيضان نهر دجلة من أهم دوافع بناء السور ولاسيما غرق عام ٤٦٦هـ[٢٠] الذي أتى في الليل على جميع أحياء المدينة بشكل سيل عظيم صاحبها ريح شديدة فهلك خلق كثير تحت الهدم[٢١].

لقد أصيب السور بأضرار كبيرة بسبب فيضان نهر دجلة سنة ٥٥٤هـ /١١٥٩م، حيث أحاطت المياه بسور المدينة وخندقها فتثلمت منه بعض الثلم عجز الناس عن سدها فتسعة حتى غرقت بغداد وتهدمت معظم محالها وعلى آثر ذلك تقدم الخليفة المقتفي (٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ / ١١٣٦ ـ ١١٦٠م) بعمل مسناة حول السور، لئلا تؤثر مياه الخندق فيه[٢٢]. ويبدو إن المسناة لم تُكتمل في عهد الخليفة المقتفي بل في عهد الخلفاء الذين أعقبوه في سُدة الخلافة.

إن من البواعث المهمة على إقامة سور بغداد الشرقية هو الفتن والحروب فضلا عن كثرة ما تتعرض إليه المدينة من أضرار بسبب فيضان نهر دجلة، الأمر الذي شجع الخلفاء العباسيين على أحاطتها بسور "فَأَمِنَتْ بَغْدَادُ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحِصَارِ"[٢٣].

ومن الذين اهتموا بعمارة سور بغداد الشرقية هو الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ – ٦٤٠هـ / ١٢٢٦ – ١٢٤٢م)، وذلك سنة ٦٣٥هـ على أثر حصار المغول لمدينة أربيل وتخريبها، فبعد أن استفتى الخليفة العلماء فأفتوا له بالجهاد وتعطيل الحج بذلك العام، أمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية أن يستعدوا ويستنفروا الناس للدفاع وحمل السلاح والتدريب علية. ثم وزع الخليفة مراكز الدفاع على الأمراء ونصب المجانيق على الأسوار وعمل على أصلاح الخندق وصيانته. أما عن عمارة السور فقد قُسم بين أرباب الدولة، فسلم إلى نواب ديوان الأبنية منه قطعة مما يلي دار المسناة، ثم أوكل العمل إلى ثلاثة من أصحاب السلطة هم صاحب الديوان وصاحب صدر المخزن وحاجب الباب[٢٤].

وفي سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م أي قبل نهاية العصر الجلائري بعام واحد، أمر السلطان أحمد ابن السلطان اويس في هذا العام بإحكام سور بغداد وأبراجه على اثر خلافات بين الأسرة الجلائرية وحلفائهم من التركمان القره قوينلي.

إصلاحات السور في العصر العثماني:

لم تتضرر أسوار بغداد من جراء العمليات العسكرية التي صاحبت حملة السلطان سليمان القانون في سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٤م. لأنه قبيل وصول الجيش العثماني إلى بغداد هرب واليها ألصفوي مع حاشيته بعد أن أدرك عدم استطاعته مواجهة القوات العثمانية التي كانت بقيادة الوزير الأعظم إبراهيم باشا. وقد دخلها الوزير المذكور بدون قتال بعد أن قام أشراف بغداد بتسليم مفاتيح المدينة إليه حقنا للدماء، وللحيلولة دون وقوع عمليات السلب والنهب في المدينة أمر إبراهيم باشا بغلق أبواب بغداد ومنع دخول الجنود إليها.

إن أول الإصلاحات التي شهدتها أسوار بغداد في ظل الدول العثمانية كانت عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، حيث تفصح الوثائق المحفوظة في ألأرشيف العثماني باستانبول، عن قيام والي بغداد بإرسال إبلاغ إلى الأستانة يذكر فيه تضرر أسوار بغداد من جراء فيضان نهر دجلة وضرورة أصلاحها. ويذكر إن المياه قد أحاطت بالمدينة من كل جوانبها وغمرت خندقها، مما تسبب في تهديم ما يقارب الخمسين ذراعاً موزعة في ثلاثة أماكن من السور. ويؤكد البلاغ بأنه تم تجهيز الجص والآجر لترميمها وسيباشر بالعمل بعد انسحاب المياه بالكامل. وبناءا على هذا البلاغ، أوصى الباب العالي بتهيئة مواد البناء المذكورة والمباشرة فوراً بإصلاحات السور وبشكل محكم. على ان يسجيل ما يصرف من مبالغ في دفتر وحذر الوالي من التبذير والإسراف[٢٥].

وهناك حُكم بالموافقة على بلاغ أخر مشابه للبلاغ الأول مؤرخ عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م، يؤكد حدوث ثغرات في أسوار بغداد وتهديم أجزاء منه تقدر بستين ذراعا نتيجة لفيضان نهر دجلة، مع حاجة مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان إلى الترميم إذ تضرر الوجه الداخلي والخارجي لجدرانه، وقد قدرت التكاليف لإصلاح ما تضرر من السور بخمسة ألاف فلوري، في حين قدر ترميم الضريح بألف فلوري[٢٦].

ويبدو إن أسوار بغداد وقلاعها قد تعرضت إلى أضرار جسيمة آثر العمليات العسكرية التي صاحبت حملة السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨م. . يقول المحبي في خلاصة الأثر " كان الشاه عباس حصنها بالعدد والعسكر فأمر السلطان (مراد) بحفر لغم عظيم وضع فيه البارود وأطلقت فيه النار فهدم جانبا عظيما من جدار السور.... حتى صار في ذلك الجانب سهلا مستويا مع سطح الأرض ....[٢٧]. وتخريب جانبا من أسوار بغداد أستدعى من السلطان مراد الإشراف بنفسه على أعادة تحصين المدينة وترميم أسوارها وأبراج قلعها "لتغدو آية للحصار المتميز ومثلا للحصن الحصين"[٢٨] وكان السلطان قد مكث

في بغداد ثلاثة شهور حتى أطمئن خلالها على جملة من الأمور المهمة منها ترميم أسوار المدينة وعموم مرافقها العسكرية[٢٩].

وشهدت تحصينات بغداد في سنة ١٠٥٢-١٦٤٢ إضافات جديدة، فبعد أن تولى بغداد كوجك حسن باشا للمرة الثانية ولاية بغداد قام بأعمال جليلة، إذ لحظ عمارة المدينة وترصين حصونها، فبنى ثلاثة أبراج قرب باب الأعظمية في المحل المسمى (طابية ذي الفقار) قبالة برج العجم فكانت محكمة البناء لتكون سدا منيعا في وجه الأعداء وحارسا للمدينة[٣٠].

كما شهدت أسوار بغداد إصلاحات واسعة على آثر فيضان نهري دجلة والفرات عام ١٠٦٨هـ - ١٦٥٧م، وقد صارت بغداد محاطة بالمياه من جميع جهاتها، فخربت بذلك الأبراج الكبيرة للمدينة وما جاورها من الأبنية المهمة. حتى إن المياه وصلت إلى باب الأعظمية وجرفت (طابية الفتح) الواقعة غرب مقبرة الشيخ عمر السهروردي، وبذلك سعى الوزير محمد باشا الخاصكي إلى إصلاح ما تخرب وبذل ما بوسعه من عمل[٣١].

لقد تعرضت بغداد إلى حصارين متعاقبين قام بهما الإيراني نادر شاه: الأول كان عام ١٧٣٢م، ولما فشل عاد في السنة الثانية أي في عام ١٧٣٣م. وكان أحمد باشا والي بغداد آنذاك قد رمم السور وأصلح الخندق والقلعة وأستعد للحصار فلم يستطع نادر شاه من اقتحام أسوار بغداد فأضطر إلى طلب الصلح[٣٢].

ومن الأخبار القليلة التي تردنا عن سور الجانب الشرقي بعد هذا التاريخ، نستشف أن أصلاحه والعناية به لم تكن من أولويات بعض الحكام في بغداد، ولاسيما في سنوات الرخاء واستتباب الأمن، لهذا لا غرابة أن يصف بعض الرحالة خراب جانبا من أسوار المدينة وأبراجها. فالرحالة الفلكي بموشامب (١٧٨٤م) شاهد أجزاء كبيرة من السور متهدمة[٣٣]. وكانت زيارته في عهد الوالي المشهور سليمان باشا الكبير (١١٩٣-١٢١٧هـ / ١٧٧٩-١٨٠٢م) الذي عم المدن العراقية بإصلاحاته والعناية بتحصيناتها الدفاعية فرمم أسوار البصرة والحلة والنجف الأشرف والزبير وعمر أسوار الجانب الغربي من بغداد وحفر حولها الخنادق الضرورية[٣٤]. في حين لم يول عناية كبيرة لأسوار الجانب الشرقي لأنها مؤمنة من جهة الغرب ضد هجمات القبائل العربية بنهر دجلة.

أما الصيانة أثناء العصر العثماني فلم تكن بصورة عامة جيدة. فعندما شاهد بكنغهام (١٨١٦م) السور لاحظ بان بناؤه مختلف ويحمل من الدلائل ما يبرهن على انه قد تم تشييده وإصلاحه في فترات عديدة متباينة، وان أحسن الأجزاء القائمة فيه هي الأجزاء ألقديمة. كما هو الحال في معظم الأبنية

الإسلامية. ولاحظ اختلاف نوع الآجر المستعمل في بناء السور وتباين أبعاده طبقا للعصر الذي شيد فيه[٣٥].

لقد أشاد جونز بتقنيات البناء العباسي في أسوار بغداد وأبراجها، وكانت بعضها نموذج جيد للمباني الآجرية العربية الإسلامية، وباستثناء بعض الثقوب التي أحدثتها المدفعية خلال الحصارات فأنها تبدو ناضرة وطرية كأنما تم الفراغ منها توا. أما أعمال الصيانة والترميم التي ظهرت طارئة على واجهة الأسوار فإنها لا تعدو ان تكون مجرد ترقيعات تعكس أعمال الحكومات غير الكاملة في القرون المتاخرة.

تخطيط مدينة بغداد في العصر العثماني وتحصيناتها الدفاعية:

من الطبيعي ان يعتمد الباحث الذي يروم دراسة تخطيط مدينة بغداد وأسوارها على الخرائط والصور القديمة التي رسمت بريش الرحالة الأجانب، وأولهم الرحالة العثماني نصوح السلاحي الشهير بمطراقي زادة سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤-١٥٣٥م الذي صاحب السلطان سليم الأول في حملته على الشام ومصر (١٥١٦ – ١٥١٧م) كما صاحب السلطان سليمان القانوني في معظم حملاته العسكرية ومنها حملته على إيران والعراق. ولعل أهم مؤلفات هذا الرحالة وأعلاها قيمة من الناحية الفنية كتابه الذي سماه (منازل العراقيين للسلطان سليمان خان) ليكون سجلا مفصلا لوقائع الحملة التي قادها السلطان سليمان القانوني على تبريز عاصمة إيران الصفوية آنذاك، ومنها سلك طريقهُ إلى بغداد مارا بهمدان وخانقين.

ومما زاد في أهمية الرحلة انه صور بريشته عددا من المدن والقصبات والقلاع والأضرحة مما جعلها وثيقة عالية القيمة لا غنى عنها في دراسة العمارة الإسلامية وتخطيط المدن[٣٦].

لقد صور المطراقي مدينة بغداد بجانبيها الشرقي والغربي وربطهما بجسر واحد عائم على عددا من الزوارق. وصور جانب الكرخ قليل العمارة مفتوحا من جميع الجهات لا أسوار له. في حين صور الجانب الشرقي كثير العمارة محاطاً بسور، والحقيقة راعا المطراقي الأشكال الهندسية ذات البعدين ولم يراع المنظور جريا على عادة ممن سبقه من أعلام المدارس القديمة. لذلك نراه رسم تفاصيل السور من الداخل وأغفل تفاصيله الخارجية. باستثناء الجانب المطل على دجلة، ويبدو السور في لوحة المطراقي مكينا محكما يتقدمه خندق يأخذ ماؤه من نهر دجلة. (الخارطة - ١)

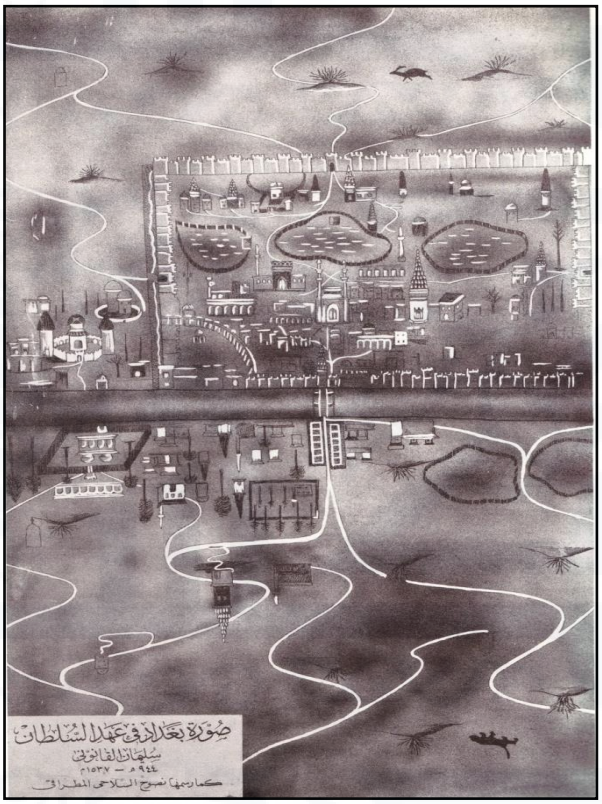

(الخارطة - ١) بغداد كما رسمها المطراقي سنة ١٥٣٤

وعلى الرغم من إن المطراقي زاده نجح في تعيين معالم مهمة كانت قائمة في مدينة بغداد ووزعها في مواضعها الحقيقية ومنها المساجد والأضرحة الكبيرة والمقابر والبساتين والجسر. إلا انه أخفق في نقل الصورة الحقيقية التي كان عليها السور في عصره. إذ رسم السور منتظم الأبعاد، مستطيل الشكل، معززاً بأبراج عالية جعلها قائمة الزوايا وبقياس واحد، يعلو كل منها شُرف مسننه والأبراج موزعة على السور بالتساوي. وعين ثلاثة أبواب للمدينة وأغفل الباب الرابع، يتقدم كل منها قنطرة تمتد فوق الخندق. كما رسم بابا أخراً من جهة النهر يعرف بباب الجسر أو باب الشط (صُو قابي)، وهو المنفذ الوحيد للمدينة على دجلة.

وإذا كانت الصورة التي رسمها المطراقي زاده لا تعكس واقع حال أسوار بغداد الشرقية وتخطيطها كما كانت عليه في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فأن رسم الرحالة الفرنسي تافرنيه كان قريبا جدا من الواقع. وكان تافرنيه قد زار بغداد عام ١٦٥٢م ودون مشاهداته عنها، ووصف سورها بأنه مبني بالأجر تقطعه في بعض النقاط أبراج كبيرة وصفها بأنها كالمتاريس وزعت فوقها مدافع بلغت زهاء ستين مدفعاً. ويكتنف السور خندق عريض عمقه نحو خمس أو ست قامات[٣٧].

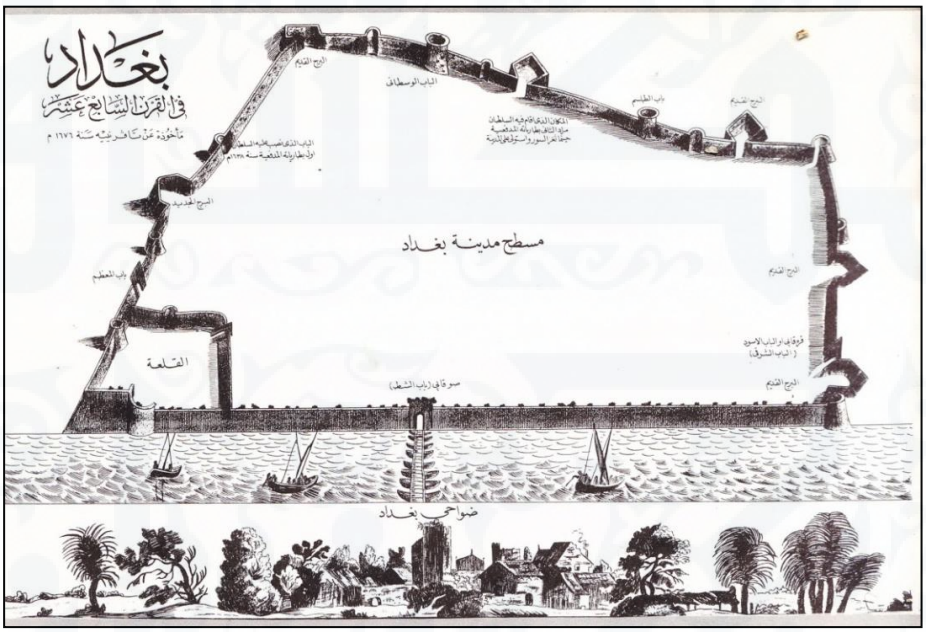

(الخارطة - ٢) بغداد كما رسمها تافرنيه ١٦٥٢

يعد تافرنيه أقدم من نجح في رسم سور المدينة بشكل قريب من الواقع، وأشر عليه تحصينات مهمة. فبعد أن حدد القلعة الداخلية بموقعها الصحيح أشر أبواب المدينة الأربعة، كما أشر باب الشط من جهة النهر. ورسم الأبراج الكبيرة مربعة أو قائمة الزوايا وهي تبدو فخمة بمثابة القلاع تتقدم سمت السور معززة بالمدافع، كما رسم الأبراج الأخرى الصغيرة ومعظمها دائرية، وبينها أبراج مفتوحة من الداخل على شكل حنايا. (الخارطة - ٢)

لقد جعل تافرنيه للمدينة سور يحميها من جهة النهر له باب أمام الجسر كما أسلفنا، وهو خلاف الواقع حيث تؤكد مصادرنا على خلو الجانب الغربي من أية تحصينات اللهم باستثناء بعض الأبراج العالية التي بنيت على ضفة النهر للمراقبة. إذ تكفل النهر بحماية المدينة من الجهة الغربية وهو درءٌ لها في حالات الحرب والحصار، بعد فك الجسور طبعا.

ومهما تكن حجم الملاحظات على رسم تافرنية فسوف يبقى ذا أهمية بالغة بوصفه أول من رسم الحدود الخارجية للمدينة بشكل يكاد يقترب من الواقع وقدر طولها وعرضها ومحيطها.

والحقيقة إن أحسن ما خلص ألينا من الخرائط عن مدينة بغداد وتحصيناتها الدفاعية في القرن الثامن عشر الميلادي تلك التي رسمها الرحالة الدانماركي كارستن نيبور عام ١٧٦٦م. (الخارطة - ٣) وكان انطباع نيبور عن السور بأنه ضعيف ولا يصلح للدفاع ويخلو من تحصينات حقيقية، ومع ذلك فأنه يقر بان بغداد بالنسبة إلى مدن بلاد المشرق تعد قلعة حصينة، وقد زود السور بعشرة أبراج فخمة على كل منها ستة او سبعة مدافع، وبينها عددا غير قليل من الأبراج الصغيرة التي تستعمل للدفاع بالبنادق فقط. والسور مزود أيضا بأبراج أخرى مجوفة صورها تافرنية في خارطته بأنها أشبه ما تكون بحنايا كبيرة بارزة إلى الخارج. وكانت ذوات طبقتين كما يذكر نيبور إحداهما فوق الأخرى، وكانت بعض المدافع المنتشرة على أبراج المدينة وسورها هاونية[٣٨].

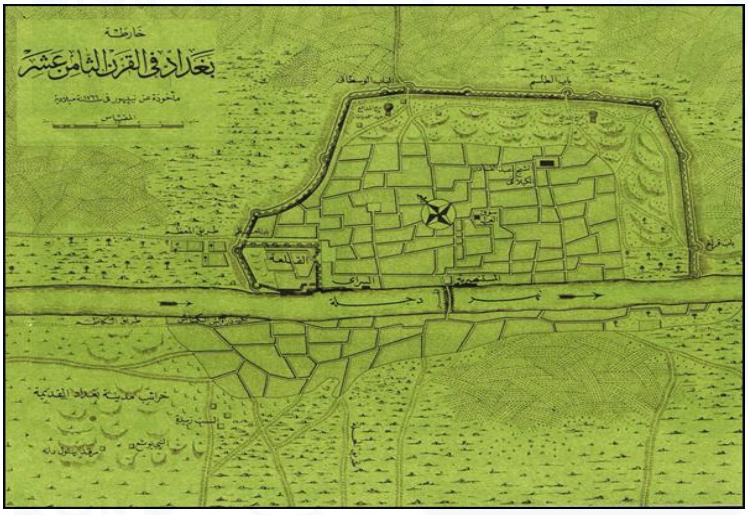

(الخارطة - ٣) عن نيبور

لقد حظيت بغداد قبل عام ١٨٤٦م بضابط بريطاني كفوء ومساح يدعى الكوماندوز جيمس فيلكس جونز[٣٩]. أعد تقريراً مفصلا عن ولاية بغداد رفعه إلى حكومة بومباي في الهند البريطانية تضمن معلومات شاملة لاسيما محلاتها في الجانبين الشرقي والغربي وما يندرج تحت كل محلة من أسماء المساجد والعقود والخانات والمقاهي والأسواق والحمامات، ولدقتها أمست المصدر الوحيد الذي يمكن أن يعول عليه في دراسة خارطة بغداد ومعالمها في القرن التاسع عشر. وتؤكد الخارطة التي رسمها جونز بالاشتراك مع المستر كولينكوود سنة ١٨٥٣م لمدينة بغداد إنها غير منتظمة وكأنها رسمت حول مجموعات المباني الواسعة كما استقرت أخيرا[٤٠].

وصف السور:

من الطبيعي أن تتباين التقديرات التي دونها الرحالة الأجانب عن مساحة مدينة بغداد وطول أسوارها، لكونها لا تستند إلى قياسات فعلية. فعلى سبيل المثال لا الحصر قدر تكسيرا (١٦٠٤م) محيط السور بفرسخا ونصف[٤١]. في حين قدر توماس هربرت (١٦٢٧م) طول سور بغداد الشرقية بثلاث فراسخ انكليزية[٤٢]. أما تافرنيه (١٦٥٢م) فقدر طول المدينة نحوا من ١٥٠٠ خطوة وعرضها ٧٠٠ أو ٨٠٠ خطوة، ومحيطها لا يتعدى ثلاثة أميال[٤٣]. وأيضاً قدر الفرنسي بوشامب (١٧٨٤م) مساحة المدينة المحصورة داخل الأسوار بسبعة أميال، والقيام بجولة حول الأسوار يتطلب ساعة واحدة سيرا على الحصان[٤٤]. وقدر جاكسون (١٧٩٧م) طول أسوارها من حافة النهر زهاء ميلين[٤٥]. في حين يعتقد بورتر (١٨١٨م) ان طول أسوار المدينة خمسة أميال[٤٦]. لقد حاول جونز حساب مساحة مدينة بغداد المحصورة بين الأسوار في عصره، بـ (٧٣٧) أكراً[٤٧]، يمتد الجزء الشرقي لأكثر من (٥٩١) أكراً أي (٢.٣٩١.١٨٦م^{٢}). أما القسم الغربي فيمتد لأكثر من (١٤٦) اكراً أي (٥٩٠.٧٦١م^{٢}).[٤٨]. وقدر طول سور المدينة الشرقية بـ (١٠.٦٠٠) ياردة أي (٩٦٨٨م)، وقدر طول سور المدينة الغربية بـ (٥٨٠٠) ياردة أي (٥٣٠٠م). وبذلك يكون محيط المدينة في الناحيتين الشرقية والغربية يساوي أكثر من تسعة أميال[٤٩]. (الخارطة - ٤)

(الخارطة - ٤) خارطة فيلكس جونز وكولينكوود

ومهما يكن فإن أدق الأرقام التي يمكن اعتمادها في معرفة طول السور موضوع الدراسة هي تلك التي نقلها المهندسون المحدثون من الخرائط القديمة المرسومة بمقياس رسم معلوم وأصدقها هو الرقم ٩٦٨٨م، وعرضه ٥٠.٥م مع الأبراج وعمق الخندق الذي يحيط به ٥.٥ م وكان للسور ١١٧برجا[٥٠].

لقد أحصى حاجي خليفة الأبراج في السور وأبعاده، وقدر محيطه بـ ١٢.٢٠٠ أو ١٢.٤٠٠ ذراع وذكر عدد الأبراج ١٦٣ برجا موزعة على المسافات المحصورة بين أبواب المدينة وقسمها كالأتي[٥١].

من النهر إلى باب المعظم يوجد ١٢ برجا ومسافتها تساوي ٧٠٠ ذراع.

ومن باب المعظم إلى الباب الوسطاني ٣٤ برجا والمسافة تساوي ٢٨٥٠ ذرعا.

ومن الباب الوسطاني إلى الاستحكامات الإيرانية ٢٦ برجاً ومسافتها تساوي ٢٠٥٠ ذراعا.

ومن الاستحكامات الإيرانية إلى باب الظلمة ٣٦ برجاً ومسافتها تساوي ٢٨٥٠ ذراعاً

ومن باب الظلمة إلى دجلة توجد ٤ أبراج ومسافتها تساوي ٥٠ ذراعاً

ومن ضفاف دجلة إلى الجسر يوجد ٣٣ برجا ومسافتها تساوي ٢٦٥٠ ذراعا

ومن الجسر الى اعلى نقطة تقع على النهر يوجد ١٨ برجا ومسافتها تساوي ١٠٥٠ ذراعا والمجموع يبلغ ١٢٢٠٠ ذراع ومنه ١٦٣ برجا.

يرتفع السور ١٨ قدما عن مستوى الأرض التي خلفه، مدعم بأكتاف أو دعامات قوية ومعها أبراج نصف دائرية موزعة بأبعاد غير متساوية. فضلا عن المزاغل الكثيرة التي يرمى منها عادة بالأسلحة الصغيرة والبنادق. وزيادة في التحصين أحيط أسفل السور من الداخل بمتاريس سميكة من التراب بلغ ارتفاعها أمتارعدة. وهي على ما يبدو بمثابة تعلية ترابية وجدت لتقوية السور وتسهم في الوقت نفسه بحمايته من أخطار فيضانات نهر دجلة، والتي عادة ما تتدفق المياه نحو الأسوار وتملأ الخندق ثم تضغط على أسوار المدينة من الخارج بشدة(٥٢).

أما الجهة الغربية المطل على دجلة فلم تكن محصنة بسور وخندق كما هي الحال في الجهات الأخرى، حيث تكفل نهر دجلة بحماية المدينة من هذا الجانب. وزيادة في التحصين زود كتف النهر على ما يبدو بأبراج مراقبة كبيرة الحجم حيث يشير الرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف الذي زار العراق عام ١٥٧٣م إلى تلك التحصينات بقوله "وبغداد محصنة تحصينا جيدا بالأسوار والخنادق، ولاسيما على امتداد نهر دجلة، إذ تقوم بعض أبراج، ومنها برجان يقومان عند الأبواب التي تودي إلى جهة النهر، وفي أعالي هذه الأبراج حفرت كتابات مسطحة بحروف ذهبية يبلغ طول الحرف الواحد منها قدما"(٥٣).

الأبراج:

يتفق نيبور (١٧٦٦م) مع فيلكس جونز (١٨٥٥م) على نوع الأبراج الداعمة للسور، وشكلها وعددها. وكانت منها عشرة أبراج كبيرة نصف دائرية، وعشرات أخرى صغيرة وظيفتها دعم جدار السور وتقويته، والأبراج الكبيرة كانت مجوفة مصممة على شكل حجرات قوية قادرة على الصمود ضد القنابل، ومزودة بفتحات تطلق منها نيران المدافع. أما نواصيها المكشوفة فتكون عادة محاطة بدائر أو ستارة متوجة بشرافات لحماية المقاتلين الذين يرابطون بقصد المراقبة والدفاع.

ويذكر نيبور بأنه شاهد على كل من الأبراج العشرة التي في سور المدينة ستة مدافع أو سبعة إلا أن نصف عددها ليس لها متكآت أو قواعد، وهو يعتقد إن تلك الأبراج صغيرة جداً بالنسبة إلى عدد المدافع. وبين هذه الأبراج بروج صغيرة أخرى، لا يمكن الدفاع عنها إلا بالأسلحة النارية الخفيفة(٥٤).

إن أحسن أنواع البناء القديم الباقي في الأسوار ظل ظاهرا في اثنين من الأبراج الواقعة في الزوايا وعلى مسافة غير بعيدة من باب الوسطاني. فهذان البرجان فخمان جدا مبنيان بالآجر الأصفر مثل باقي أجزاء السور وقد شاهد

بنكغهام (١٨١٦م) على بعض هذه الأبراج كتابات على شكل أشرطة عريضة مكتوبة بالخط العربي، وكان كل واحدٍ منهما بمثابة قلعة[٥٥]. ولا شك إن احد هذه الأبراج هو ما يعرف بطابية الفتح أو البرج القديم ويقع في الركن الشمالي الشرقي من سور المدينة وبالتحديد غرب مقبرة الشيخ عمر وقد عمرها محمد باشا الخاصكي بعد أن خربها الفيضان عام ١٦٥٧م[٥٦] كما أسلفنا. ولعل البرج الأخر الذي قصده نيبور هو ما يعرف ببرج باب الطلسم وعليه كتابات ويقع جنوب الباب الوسطاني. وهناك تابية أخرى كبيرة مشهورة تقع جنوب مقبرة الغزالي في باب الشيخ. وقد بقيت آثار هذه الأبراج الكبيرة تشاهد حتى مطلع القرن العشرين على شكل تلول مرتفعة من الانقاض[٥٧].

وأحيانا تعزز الاستحكامات الدفاعية بأبراج أضافية تبنى أمام الأسوار، بوصفها نقاط دفاع متقدمة معززة بمدافع تتناسب مع حجمها. فعندما اقتربت قوات السلطان مراد الرابع من بغداد عام ١٦٣٨م، قامت الحامية الصفوية بالمدينة بتسوية الأرض الكائنة على طول الجبهة الواقعة أمام الأسوار وبعمق ٨٠٠ ياردة لتكون خالية من جميع العوائق وينكشف العدو المهاجم فيها وأمامه أبراج على شكل قلاع متقدمة[٥٨]. وهناك أبراج جديدة أضيفت إلى تحصينات بغداد بعد عودة العثمانيين إليها للمرة الثانية، إذ أضاف والي بغداد كوجك حسن باشا في سنة ١٠٥٢هـ ـ ١٦٤٢م. ثلاثة أبراج قرب باب الأعظمية في المحل المسمى (طابية ذي الفقار) قبالة برج العجم وكانت محكمة البناء[٥٩].وقد وصفت تحصينات بغداد من قبل بعض الرحالة في منتصف القرن الثامن عشر بأنها محاطة بأسوار تتخللها أبراج وحوله تسع متاريس في كل واحد عدد من المدافع النحاسية يتراوح بين ٦ ـ ٨ مدافع مختلفة الأحجام[٦٠].

وعلى الرغم من إن المدينة كانت محصنة بالأسوار من جهة البر فقط، إلا أن بعض المؤرخين ذهب إلى أنها محصنة بـ ٩٧ برجا كانت قائمة على دجلة ومعها ١١٤برجا تدعم أسوارها من جهة البر فيكون مجموعها ٢١١ برجا. بين كل برجين خمسون مزغلاً والمسافة بين كل ثقبٍ وأخر خطوة واحدة[٦١]. ولا شك إن عدد الأبراج على جهة النهر في هذه الرواية مبالغ فيه كثيرا.

وقد أقيمت على الأبراج الكبيرة والقلعة الداخلية بطاريات جهزت بالمدافع البرنزية ذات عيارات متباينة وعددها يختلف من حقبة إلى أخرى، وهي موجهة نحو محيط المدينة وبعضها موجهة نحو الداخل. والحقيقة توافرت لقلعة بغداد أنواع جيدة من المدافع، أصطحبها جيش السلطان مراد الرابع معه سنة ١٦٣٨م، وقد وصفت هذه المدافع بأنها فريدة ولم يكن لها مثيل اللهم إلا في استانبول والبحر المتوسط وحصون مضيق البسفور وقلعة رادوس. وكان

بعضها من طراز "بال بيمز" ذي الكفاءة العالية وضعت في طابيتي حسن باشا وذو الفقار باشا. وأنواع أخرى وزعت على الباب الوسطاني وباب البصلية، والقلعة الداخلية وبرج العجم ومقر القيادات[٦٢].

الخندق:

عادةٍ يبدأ العمل بحفر الخندق قبل بناء السور وليس بعد انجازه كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين[٦٣]، وذلك للاستفادة من ترابه المستخرج في صناعة اللبن والآجر. لأننا نعلم بان قطع اللبن يكون عادة قريبا من مواضع البناء لأغراض اقتصادية بحته، منها تسريع العمل وزيادة الإنتاج وتقليل تكاليف النقل، وكذلك الأفران الخاصة بشي الآجر لن تكون في كل الأحوال بعيدة عن السور.

مثلما أختلف المؤرخون والرحالة في قياسات السور وعدد أبراجه، اختلفوا أيضا في وصفهم للخندق. فمنهم من بالغ في أبعاده وقدر عرضه بستين ذراعا[٦٤]. ومنهم من قدر ارتفاعه من قاعه إلى نهاية السور بأربعين قدماً[٦٥]. وآخر قدر عمقه بثمانية عشر قدما، وقد تم حفره بشكل مجرد، ولم يجري تغليفه بالبناء[٦٦]. لهذا كانت جوانبه وأكتافه في أثناء العصر العثماني تزرع من قبل الفلاحين بالخضروات. إذ يذكر الرحالة الهندي ميرزا أبو طالب خان (١٧٩٩م) أن بغداد الشرقية والغربية محصنتان بأسوار تحيط بهما خنادق واسعة وعميقة تتخذ مزارع في أيام السلم ولكنها وعند حلول اقل خطر تملء ماءا من نهر دجلة بسهولة[٦٧].وزراعة الخندق ظلت قائمة إلى أن ردمه ناظم باشا والي بغداد في حدود ١٩١٢م[٦٨].حيث زالت معالمه وحلت محله السدة القديمة[٦٩].ومن الملاحظ إن زراعته كانت تعطى بالالتزام فتستفيد منه الحكومة رسوم الأعشار فضلا عن بدل الإيجار[٧٠].

ويبدو إن محاولات ردم الخندق كانت قد بدأت قبل عهد ناظم باشا كما تؤكد أحدى الوثاقق العثمانية التي هي عبارة عن برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى حضرة الصدر الأعظم مؤرخة في غرة شعبان ١٣٢٥هـ الموافق ٩ أيلول ١٩٠٧م، والبرقية تفصح عن المباشرة بطمر الخندق الذي يحيط بمدينة بغداد من جهاتها الثلاثة والمستنقعات التي حدثت في الأراضي الواقعة بينة وبين المدينة من جراء فيضانات نهر دجلة، وتأثير ذلك على الصحة العامة. حيث أصبحت المستنقعات المذكورة مصدرا لكثير من الأمراض في السنوات الأخيرة. وقد أشارت الوثيقة إلى جسامة العمليات التي يقتضيها ووجوب نقل التراب من الخارج. ومع ذلك تمت المباشرة بالردم تزامناً مع عيد جلوس السلطان[٧١].

أذن الخندق يأخذ ماءهُ من نهر دجلة ويكون مملوءاً بالماء معظم أيام السنة، ولاسيما في فصلي الشتاء والربيع حيث يرتفع منسوب المياه في النهر، أما في الصيف فمن الطبيعي أن تقل المياه في الخندق بسبب انخفاض مستواها في نهر دجلة. وقد شاهده بكنغهام (١٨١٦م) وهو خال من المياه[٧٢]. وقد كان الخندق طيلة القرن التاسع عشر مطوقا بسدود قوية من الخارج على شكل حزام خوفا من فيضان نهر دجلة الذي أغرق المدينة مرات عديدة[٧٣].

وبصورة عامة منذ القرن التاسع عشر أخذت أسوار المدن تفقد هيبتها ووظيفتها الأساسية بسبب تطور صناعة الأسلحة النارية ولاسيما المدفعية، فقلت العناية بها تدريجيا حتى أهملت فألت جوانب منها إلى السقوط ثم أزيلت كلياً. لذلك ليس غريبا أن نقرأ في كتب بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا بغداد في النصف الأول من القرن التاسع عشر بان أسوارها كانت مهملة وتوشك أن تنقض. ليس هذا فقط بل كانت بعض الأماكن قد قلع الآجر منها بشكل منتظم[٧٤].

ومن الشائع إن أول من أمر بإزالة أسوار بغداد هو الوالي مدحت باشا (١٨٦٩- ١٨٧٢م)، بيد إن المرحوم عباس العزاوي ذكر إن أول من باشر بهدم السور والي بغداد محمد رشيد باشا الكوزلكي (١٨٥٢ – ١٨٥٧م) ثم توالى الهدم وزاد في أيام مدحت حتى لم يبق له عين ولا اثر، وكان غالبا من يبني داراً يشتري من أهل المقالع آجره ليضعه في أساس بنائه حتى زال كليةً[٧٥]. ويذكر شاهد عيان من سكان بغداد إن أساسات السور بقيت ظاهرة في بعض المحال حتى أوائل القرن العشرين[٧٦].

أذن مدحت باشا هو الذي أزال السور كليا، لاعتقاده بعدم فائدته وقلة جدوى صموده أمام الأسلحة الحديثة، فقرر الاستفادة من آجره في بناء بعض المنشآت داخل مدينة بغداد، ومنها مدرسة الصنائع الواقعة قرب القصر العباسي، وأنجز إضافات في القشلة وبرج ساعتها الذي وجد لإيقاظ الجند[٧٧]، فضلا عن الاستفادة من ثمنه.

وبصورة عامة أصبحت مدن العراق خلال فترة الاحتلال العثماني مراكز صغيرة الحجم أكثر أجزائها خربة، والسبب يعزى إلى تدهور الوضع السياسي وما رافقه من حروب وأوبئة وفيضانات، وقياسا إلى مدينة بغداد، فلم تكن مسكونة في القرن السابع عشر بما يتناسب وسعتها[٧٨]. وقد شاهد تكسيرا (١٦٠٤م) بين أسوار المدينة وبيوتها فسح وبساتين وتلول كبيرة على الرغم من إن الأرض مستوية، ومصدر هذه التلول هي الخرائب القديمة المهدمة[٧٩]. ويذكر نيبور الذي زارها بعد تكسيرا بحوالي قرن ونصف من الزمان بأن القسم الأعظم من المدينة مهدم وغير مسكون عدا المنطقة القريبة من سراى الباشا،

حيث تكثر الأسواق المهمة بالمدينة[٨٠]. ومع ذلك فان المدينة ظلت تحتفظ بوصفها واحدة من أهم مراكز التجارة في هذا الجزء من قارة اسيا، وكأعظم مدينة على حدود الإمبراطورية التركية تجاه بلاد فارس. وتحصينات بغداد ضعيفة كما يبدو ذلك. وفي البلاد التي يندر فيها جلب المدفعية إلى الميدان، تعد مثل هذه التحصينات كافية لمقاومة الفرس، والوهابيين بنجاح[٨١].

أبواب السور:

من المعروف إن لسور بغداد أربعة أبواب هي : باب السلطان وباب الظفرية وباب الطلسم وباب كلواذا، وكانت هذه الأبواب على عادة المدن الكبيرة تغلق ليلا وتفتح عند مطلع النهار[٨٢]. على كل باب مجموعة من الحراس لا يسمحون للغرباء الدخول إلى المدينة إلى بأذن. ووظيفة هؤلاء الحراس تفتيش البضائع الداخلة والخارجة منها. وفرض الرسوم الكمركية على البضائع المجلوبة من قبل التجار. لذلك في العادة تواجد أفراد من رجال الكمارك بجانب الحراس أثناء النهار.

وقوام تصميم الأبواب الأربعة أبراج كبيرة تتقدمها قناطر مرفوعة على عقود فخمة مبنية بالآجر، والقناطر بطبيعة الحال تمتد فوق الخندق لتفضي إلى السهول المفتوحة خارج الأسوار، وقد وصفت القناطر بأنها قوية يعود تاريخها إلى فترة بناء السور، لكن ترميماتها المنجزة في العصر العثماني كانت رديئة[٨٣].

أما تصميم الأبراج الأربعة فيختلف بعضها عن بعض الآخر فالبابين الوسطاني والطلسم دائريين في حين باب السلطان مصمم على شكل برج قائم الزوايا وبرج كلواذا كان مثمنا. وجميع الأبواب معززة باستحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمى منها بالبنادق وفتحات أخرى كبيرة للمدافع استحدثت في العصر العثماني.

١ـ باب السلطان: (**الصورة - ١**)

ويقع في الناحية الشمالية من المدينة ويسمى باب السلطان نسبة إلى طغرل بك، أو الشماسية، كما يعرف بباب المعظم بوصفه يتجه صوب مرقد الأمام أبو حنيفة النعمان الملقب بالإمام الأعظم. وموضعه بالقرب من قلعة بغداد الداخلية التي كانت تشغل الركن الشمالي الغربي من سور المدينة، وتمثل وزارة الدفاع القديمة المطلة على نهر دجلة. وقد ظل هذا الباب قائما حتى سنة ١٩٢٣م حيث هدمته الحكومة العراقية(٨٤). بمسوغ توسيع الشوارع في تلك المنطقة لتتلاءم مع حركة السيارات.

لقد ظل هذا الباب لقرون عدة من أهم أبواب المدينة وأكثرها حركة، لأنه كان يربط بين قرية الأعظمية الواقعة شمال الأسوار وبين أكثر أجزاء المدينة حيوية من حيث النشاط التجاري وكثافة السكان. وعلى مقربة منه قصر الباشا والأسواق الكبيرة وساحة الميدان(٨٥). والأرض الممتدة خارج أسوار المدينة من الجهتين الشمالية والشرقية تبدو على مدى الرؤيا مستوية خالية من البناء، تتنتعش فيها الحركة عادة أثناء النهار، لاسيما عند ظهور الجند وكتائب الفرسان على الطرق المؤدية إلى أبواب المدينة.

وللأسف لم تصلنا عن باب السلطان معلومات أو صور كثيرة تفصح عن طبيعة تخطيطه وعمارته بدقة، باستثناء بعض الصور الملتقطة أثناء دخول في أول أيام الاحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧م. والباب يبدو في هذه الصور القليلة أنه كان على شكل برج كبير قائم الزوايا يتكون من طابقين لا يقل ارتفاعه عن ثمانية أمتار. وهو مبني بالآجر وله مدخلان يقعان على محور واحد، قوام كل منهما فتحة كبيرة متوجة بعقد مدبب. وقد وصف الطابق الأرضي بأنه مسقف بقبو نصف دائري طويل يرتكز على أربعة عقود(٨٦). والوصول إلى الطابق العلوي يكون عن طريق درج مبني بالآجر يقع على يسار الداخل إلى المدينة. ومن الملاحظ إن البرج له طابق علوي مصمم على شكل منظرة مفتوحة على الخارج بنوافذ موزعة في كل الاتجاهات، ومحمية من أشعة الشمس والمطر بمظلات خشب ، والنوافذ وجدت أصلا للمراقبة والرصد، حيث يجلس في العادة ثلة من الجند في الأعلى لمراقبة ما يجري خارج أسوار المدينة وداخلها، لاسيما وان هذا الباب له أهمية خاصة بوصفة قريب من القلعة الداخلية، ويشهد حركة نشطة في النهار لأنه يقود إلى الميدان الرئيسي والأسواق.

(الصورة - ١) باب السلطان أثناء دخول الجنرال مود إلى بغداد عام ١٩١٧م

٢ـ باب الظفرية: (**الصورة - ٢**)

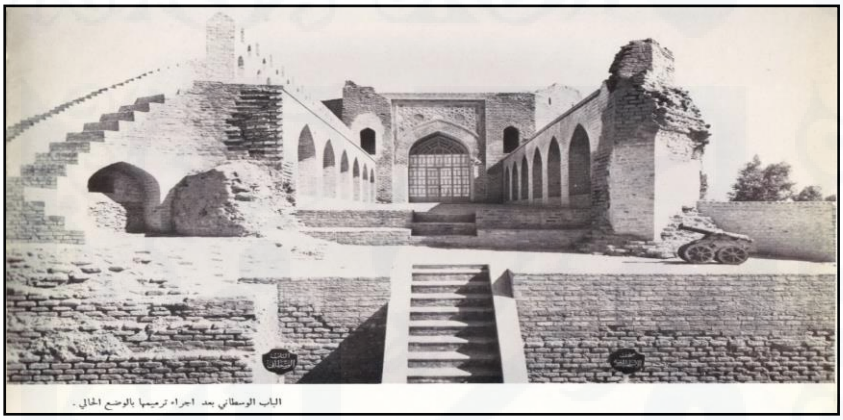

(الصورة - ٢) باب الظفرية

وقد سمي بهذا الاسم لكونه يقع قبالة محلة الظفرية المنسوبة إلى ظفر أحد مماليك الخلفاء العباسيين. ويعرف أحيانا بباب خراسان، وقد سمي في العصر العثماني بـ "آق قابو" أي الباب الأبيض[٨٧]، ألا إن أشهر أسمائه التي مازال يعرف بها هي الباب الوسطاني. ويقع بالقرب من مقبرة الوردية المعروفة اليوم بمقبرة الشيخ عمر نسبة لدفينها الشيخ الجليل شهاب الدين عمر السهروردي(ت ٦٢٣هـ) وقد علت قبره قبة مخروطة بنيت على الطراز السلجوقي.

والراجح إن بانيه هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢هـ / ١١٨٠ – ١٢٢٥م) وذلك استناداً إلى فحوى الدعاء الوارد في الكتابة التي وجدت في أعلى البرج. ونصها: "ولا زالت دعوته الهادية للدين قواما، وللإسلام نظاما، ولدولته القاهرة سكينة وللأمة اعتصاما، ولمدينة السلام بابا.... وأنوارا...." والكتابة هنا تشبه أسلوب الكتابة التي تؤرخ لبناء باب الطلسم.

ويعد الباب الوسطاني من بين أبرز المعالم العباسية في مدينة بغداد، إذ مازال في حالة جيدة من الحفظ بفضل عناية دائرة الآثار والتراث فيه، وكانت الدائرة المذكورة قد اتخذته متحفا للأسلحة الحربية بعد أن أخضعته إلى صيانة شاملة عام ١٩٣٨م.

وقوام الباب برج دائري بطابق واحد قطره يربو على ١٤م متوج بشرافات مصممة على شكل كتل مستطيلة ذات نهايات مسننة زينة ستارة

البرج من الأعلى، وهناك تحت الشرافات صف من المزاغل موزعة على محيط الستارة يمكن الدفاع منها بالبنادق.

لقد قسم البرج من الداخل إلى ثمانية أواوين صغيرة مسقفة بأقبية مدببة، تنفتح على فضاء مثمن بعقود. وقد أريد بالأواوين أن تكون بمثابة حجرات مفتوحة من جانب واحد يقيمها الحراس الذين يشرفون على أدارة هذا الباب ويراقبون الدخول والخروج منه، وينتشر فيها المدافعون وقت الحرب حيث زودت بمزاغل موزعة على محيط البرج بدقة وانتظام، فجعل في كل إيوان مزغلان للسيطرة على الخارج ورصد جميع النقاط الواقعة في محيط المدينة من الجهة الشرقية.

(الصورة ـ ٤) مخطط الباب الوسطاني وصورته في العصر العثماني

وبعد أن تجمعت الاواوين الثمانية داخل البرج تشكل أمامها فضاء مثمن صار بمثابة الصحن، وقد سقف هذا الفضاء بقبيبة صغيرة نصف كروية معقودة بالآجر. وأنارتها تعتمد على المزاغل المصممة من الداخل على شكل حنايا كبيرة متوجة بعقود واسعة من الداخل ومن الخارج تضيق لتصبح فتحات شاقولية لا يزيد أبعاد الواحدة منها على (٢٠×٥٠سم).

ومن الطبيعي أن يكون للبرج مدخلان: الأول ينفتح على القنطرة المعقودة على الخندق بعقد مدبب تعلوه زخارف هندسية منحوته من قطع الآجر قوامها أطباق نجمية بسيطة مرتبة على النمط العباسي، وهي تشبه مثيلاتها التي مازالت تزين واجهات بعض الأبنية في بغداد مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي. أما المدخل الثاني فهو كالأول يشغل أحد الاواوين وتصميمه لا يختلف عن الأول كثيرا وهو يواجه البر الفسيح الممتد حول المدينة. وأمامه أيضاً قنطرة طويلة تمتد بموازاة الخندق وملتصقة بحافته الخارجية(الصورة-٤)

إن أهم ظاهرة ميزت الباب الوسطاني عن غيره من الأبواب هو انكسار مدخليه، بمعنى إن مدخليه لا يقعان على محور واحد فيضطر الداخل إلى المدينة عبر هذا الباب أن ينحرف إلى جهة اليمين، وفي هذا فوائد دفاعية يضطر فيها الغزاة بعد اقتحامهم إلى الانحراف للعبور من المدخل الثاني فتتعرض جوانبهم للسهام الموجهة إليهم من قبل المدافعين[٨٨]. كما ان المداخل المنحنية لها فوائد أخرى، بوصفها مخفيه لا تواجه المهاجمين بصورة مباشرة، وانحرافها لا يسمح للجيش المهاجم النيل منها بواسطة النيران التي ترمى من خلف الخنادق. فضلا عن الفوائد المناخية والصحية.

وزيادة في تحصين هذا الباب تم حماية جانبي القنطرة التي توصل بين ضفتي الخندق والمتصلة بسور المدينة، بجدار مزود بوسائل دفاعية منها مجموعة كبيرة من المزاغل وزعت بشكل صفوف، وفوقها الشرافات.

٣- باب الحلبة أو باب الطلسم: (**الصورة - ٥**)

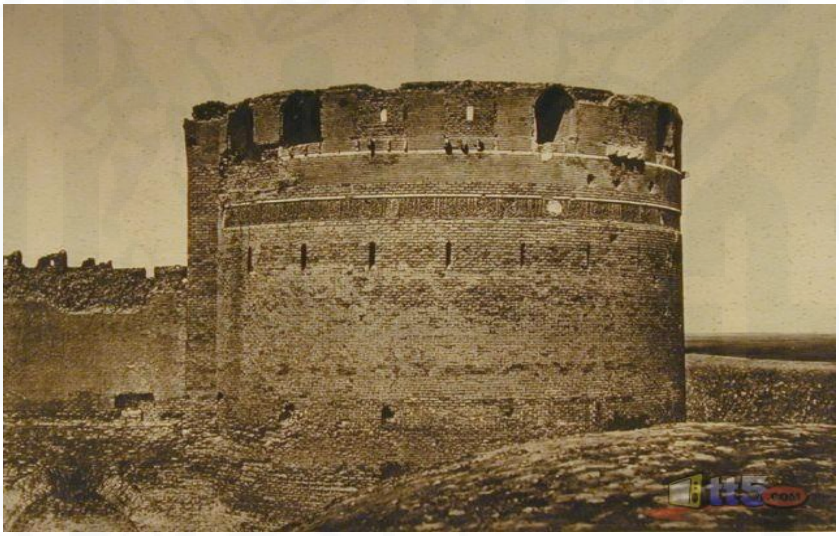

(الصورة - ٥) باب الحلبة

سمي بهذا الاسم لقربه من ميدان السباق الذي كان في هذا الموضع قبل أنشاء السور. ثم عُرف في العهود الأخيرة بباب الطلسم لوجود بعض الرسوم والطلاسم عليه. كما عرف ببرج الفتح على آثر دخول السلطان مراد الرابع منه فاتحاً سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م، وقد أمر السلطان مراد بعد دخوله أن يُسد هذا الباب بجدار ولا يدخل منه أحدً من بعده[٨٩].وقد اتخذه الأتراك في السنوات الأخيرة من حكمهم مخزنا للبارود، ثم أوقدوا النار فيه فنسفوه يوم انسحابهم من بغداد ليلة الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٧م[٩٠].

أما عن تاريخ البناء فلا شك إن البرج مبني مع باقي أجزاء السور في عهد المسترشد بالله، بيد إن الخليفة الناصر لدين الله قد جدده سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م، إذ تشير الكتابات التي كانت مدونة على واجهته الخارجية إلى هذا التاريخ ونصها "بسم الله الرحمن الرحيم (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم). أمر بعمارته سيدنا ومولانا

الأمام المفترض الطاعة (على) كافة الأنام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين وحجة الله عز وجل على الخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه على آله الطاهرين، ولا زالت دعوة المدعي(كذا) على أتباع الحق منازلة (كذا مناراً). والخلائق لها أتباعاً وأنصاراً، وطاعته المفترضة للمؤمنين أسماعاَ وأبصاراً، وافق الفراغ منه سنة ثمان عشرة وستمائة وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين". [٩١]

ومن الواضح إن باب الطلسم يشبه في تصميمه الباب الوسطاني، وقوامه برج فخم دائري الشكل، معزز بصف من المزاغل الشاقولية وزعت على محيطه بأبعاد متساوية. ويبدو إنه خضع في العصر العثماني إلى صيانة شاملة وشهد بعض الإضافات التي استوجبتها الأسلحة الحديثة. فجددت ستارته واستحدثت فيها فتحات كبيرة لوضع المدافع المستقرة على ناصيته[٩٢]. علما إن تافرنيه (١٦٥٢م) كان قد قدر عدد المدافع على أسوار بغداد بستين مدفعا[٩٣].

لقد زين المدخل الرئيس للبرج بمنحوتة آجريه نادرة، تحمل دلالات رمزية لعلها مستوحاة من ثقافات شرقية قديمة وتنتمي لعقائد ذات أصول وثنية. اعتمدت طلاسم معينة تسهم في حراسة أبواب المدينة من الأعداء، أو على الأقل تساعد على طرد الأرواح الشريرة وتحمي المدينة من كيد السحرة والحساد. وقوام موضوع الصورة شخص جالس متربعا على الأرض وعلى كل من يمينه ويساره حيوان خرافي على شكل تينين. وصاحب الصورة يمسك في يديه بلسانهما. وقد صور الفنان التينينان على شكل ثعبان كبير ملتوٍ له رأس تمساح بقرنين ويدين وجناح.

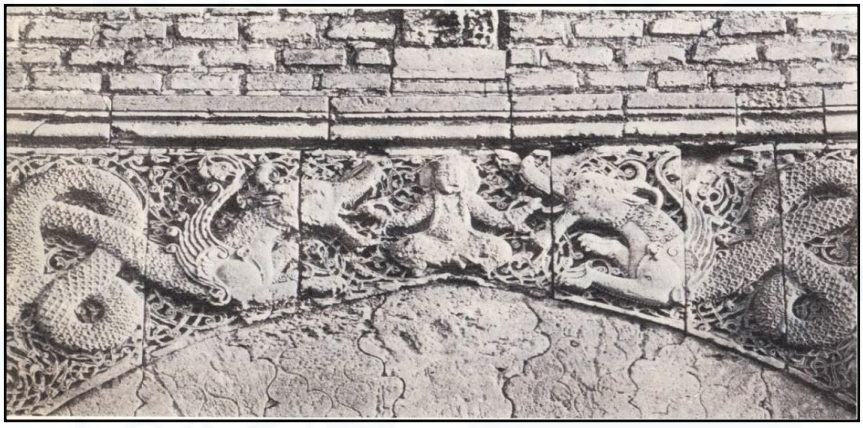

(الصورة - ٦) الزخارف الآجرية على باب الطلسم

ولا شك إن الرسم لا ينتمي إلى المدرسة العراقية في التصوير لان الشخص الذي صوره الفنان في هذا المشهد ذات سحنة أسيوية ويرتدي زياً مزركشا ما زال مستخدما حتى اليوم في البلاد الباردة في أسيا الوسطى وغربها وهو ما يعرف ببلاد المغرب العربي بالبرنص أو الربنوص، وهذا الزي يرتبط به عادة غطاء واسع للرأس. (الصورة - ٦)

وكما هي الحال في الأعمال الآجرية العباسية ألمنحوتة فالمشهد هنا منفذ على مهاد من الزخارف النباتية ومعضمها أغصان ملتوية ومتشابكة تخرج منها أوراق ثلاثية ومراوح نخيلية ومعها أشكال حلزونية.

لقد صورت السائحة الفرنسية مدام ديولافوا عام ١٨٨١م هذا الباب بكامرتها، ودونت خلاصة ما نقش عليه من كتابات، ثم قارنت ألاستحكامات التي رأتها في أسوار بغداد وأبراجها بالاستحكامات التي أقامها الفرنسيون في العصور الوسطى وأكدت الشبه الكبير بينهما ولاسيما في طراز البناء والأبواب والأقبية التي تعلو الحجرات وكذلك التشابه أمتد إلى الخندق والمزاغل التي تستعمل للمراقبة والرمي(٩٤).

٤ـ باب البصلية أو باب كلواذا: (**الصورة – ٧**)

(الصورة - ٧) باب كلواذا في العصر العثماني

(الصورة ـ ٨) باب كلواذا بعد تحويله الى كنيسة

عرف أثناء العصر العباسي بباب البصلية بوصفة يقع في محلة البصلية التي أنشأها الخليفة المقتدي[٩٥]، كما عرف بباب كلواذا لان الطريق الذي يخرج منه يؤدي إلى قرية كلواذا الواقعة قرب الكرادة الحالية. وأطلق عليه في العهد العثماني (قارولغ قابي) أي الباب المظلم. وأصبح في عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) جزءاً من البنايات التابعة لمصنع الدباغة (للدباغخانه)، إذ استعمل مضجع للجنود التابعين إلى سرية الدباغة المنسوبة إلى فوج الاعمالات[٩٦]. وفي عهد الاحتلال البريطاني أتخذه الانكليز كنيسة لهم سميت بكنيسة "سنت جورج"، وقد نقضت أمانة بغداد هذا الباب عام ١٩٣٧م ويقع ضمن ما يعرف اليوم بساحة التحرير.

والحقيقة لم يصلنا عن باب كلواذا إلا النزر اليسير من المعلومات والصور، وبرجه مثمن يختلف عن باقي أبواب المدينة في الشكل. مزود من الأعلى بفتحات كبيرة مخصصة للمدافع وأخرى صغيرة على شكل مزاغل يرمى منها بالبنادق. أما الأبواب التي يولج منها الخارج والداخل إلى المدينة فهي تشبه الأبواب المفتوحة في الأبراج الثلاثة الأخرى السالفة الذكر.

لقد تعرض هذا الباب إلى عمليات ترميم وصيانة شاملة وشهد معها إضافات كثيرة استحدثت أثناء تحويله من قبل الانكليز إلى كنيسة فتغيرت معالمه حتى أصبح لا يمت إلى الأصل بصلة. (الصورة ـ ٨)

القلعة الداخلية:

شاع في العصر العثماني نوع من القلاع تقام عادة داخل المدن الكبيرة يطلق عليها الأتراك (ايج قلعة) أي القلعة الداخلية والهدف من أقامتها حماية الحكام والمسؤولين وأتباعهم وجندهم من الأخطار الخارجية، فضلا عن استخدامها وسيلة مهمة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحصل داخل المدينة. حيث تعد القلاع داخل المدن العراقية من أهم مرافقها البنائية، وأكثرها حيوية، بوصفها أحدى المؤسسات المهمة التي تجمع الوالي وأتباعه، كما أنها تمثل الصفة العسكرية البحتة التي تتصف بها السلطة الحاكمة في المدينة. لذلك هي تحتل مواضع متميزة فتبنى على روابي أو تقام على ضفاف الأنهار لتسهيل مهمة اتصالها بالخارج وتامين خطوط دفاعاتها وقت الخطر، وتشحن بالجند والمؤن والسلاح والذخيرة وتزود بمخبز ومسجد ومحل لإقامة الوالي وأحيانا تضم سجنا ومخازن للبارود فضلا عن قاعات الجند. وقد اقتصر وجود هذا النوع من القلاع في العراق على المدن الكبيرة مثل بغداد والموصل والحلة.

تعد قلعة بغداد الداخلية المعروفة بـ (ايج قلعة سي) أقدم مثال بني في العراق وبنائها كان على الأرجح في أواخر حكم الأسرة التركمانية القره قوينلو (دولة الخروف الأسود). خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وبعد أن خضعت بغداد للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤م، اتخذها العثمانيون في أول عهدهم مقرا للحكم. كما اتخذها والي بغداد بكتاشي خان (١٦٣١ ـ ١٦٣٨م) مقرا له وذلك في عهد السيطرة الصفوية وبجانبها انشأ السراي[٩٧]. الذي صار مقرا للولاة الذين تعاقبوا على أدارة بغداد طيلة العصر العثماني. وأول من ترك السكن في القلعة الداخلية وأقام بالسراي من الولاة العثمانين هو كوجك حسن باشا الذي عينة السلطان مراد للمرة الثانية (١٠٥٢ ـ ١٠٥٤هـ/١٦٤٢ ـ ١٦٤٤م) واليا على بغداد ووضع تحت أمرته ٨٠٠٠ نفر من أتباعه، فشغل القصر الذي كان "بكتاش خان" قد شيده لنفسه في السراي[٩٨]. وقد أسهب في وصف هذا القصر الايطالي فنشنسو عام ١٦٥٦م، بعد أن سنحت له فرصة التجوال في داخله بحرية. وذكر انه كان مزين بنقوش عربية مرسومة بعناية فائقة وسقوفه مزينة بالفسيفساء. وشبه ديوان الوالي بقاعات قصور النبلاء في البندقية، إذ كانت جدرانه موشاة بخزف مطلي دقيق الصنعة. أما الأرضية فيزعم إنها كانت مفروشة بطنافس منسوجة بالحرير والذهب[٩٩].

والقلعة تشغل مساحة كبيرة من ركن المدينة الكائن في الزاوية الشمالية الغربية من سور بغداد المطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة، في مكان وزارة

الدفاع القديمة[١٠٠]. يحدها سور المدينة من الشمال وسور آخر مستقل من الجهات الثلاث مزودة بعدد من الأبراج. وصفت عام ١٥٨٠م بأنها حديثة البناء تقوم في وسط ميدان واسع، يقيم فيها الباشا مع حامية من السباهية (الخيالة النظامية) والانكشارية[١٠١].

ظهرت القلعة لأول مره على خارطة بغداد المرسومة من قبل المطراقي زاده سنة ٩٤١هـ -١٥٣٤م وقد حدد موضعها الطبيعي على شاطئ دجلة داخل أسوار المدينة حيث تشغل رقعة كبيرة في أقصى الزاوية الشمالية الغربية كما أسلفنا . يحدها من الشمال سور بغداد ومن الغرب نهر دجلة، ويفصلها عن دور المدينة سور خاص رسمه المطراقي منحنيا، وصوره على انه منخفض واقل ضخامة من السور الخارجي[١٠٢].

ولما كانت صورة القلعة تخفي واجهة السور الخارجية وتَظهر فقط واجهته الداخلية فمن الطبيعي لا نستطيع رؤية الأبراج الداعمة له من الخارج والتي رسمها الكثير الرحالة الذين زاروا بغداد في فترات لاحقة. ومهما يكن فسور القلعة مزود بحنايا ساندة كبيرة بلغ عددها عشرة والحنايا متوجة بعقود منخفضة، وتعلو السور شرافات مسننة كبيرة الحجم عالية يربو عددها على (١٦) شرافة.

ولا توجد في القلعة غير مدخل واحد يقع في الجهة الشمالية القريبة من باب المعظم، وقوامه فتحة متوجة بعقد داخل حنية كبيرة، تتقدمه كنه على شكل حجرة مربعة محاطة من الأعلى بصف من الشرافات، وتعلو المدخل قبة نصف كروية زرقاء اللون صورها على انها مزججة ببلاطات من القاشاني الازرق. وللقبة رقبة مزودة بنوافذ للإضاءة والتهوية.

وللقلعة صحن واسع خال من المنشآت باستثناء ضريح يقوم على مسطبة مدرجة مبنية بثلاثة مستويات. والضريح على شكل حجرة دائرية تعلوها قبة نصف كروية زرقاء تجلس مباشرة على الجدران، والقاعدة الدائرية محاطة بفتحات عدة شاقولية متوجة بعقود لعلها ابواب تفتح على الجهات المختلفة. ومن الجدير بالذكر إن الأضرحة في داخل القلعة كانت قائمة وقد أشرها فيلكس جونز في خارطته. وذكرها عبد الحميد عبادة ....

وتوجد في القلعة من جهة النهر حسب رسم المطراقي مجموعة منشآت مكملة تقوم بوظيفة السور قوامها أبنية مسقفة بقباب عالية وفي طرفها برج مربع الشكل وجد للدفاع والمراقبة مبني على طريقة المآذن يتكون من ثلاث طبقات الأولى فخمة مرتفعة بارتفاع سور المدينة، محفوفة بشرفة لها دائر يحمي من السقوط. أما الطبقة الثانية فهي ذات قطاع مربع أيضا لكنها صغيرة الحجم وقليلة الارتفاع وقد تراجعت عن الطبقة الأولى في البناء. كما تراجعت

الطبقة الثالثة كثيرا لتحمل فوقها قبيبة صغيرة تبدو مزججة خضراء اللون. والبرج مزود بفتحات بعضها مداخل تؤدي إلى الشرفات وبعضها الأخر نوافذ وجدت للإضاءة والتهوية فضلا عن المزاغل التي تعتمد في المراقبة والقتال.

وإذا كانت القلعة الداخلية لم تعجب راوولف الذي شاهدها عام ١٥٧٣م وذكر بأنها غير محصنة وناقصة البناء من الداخل[١٠٣]. فان الرحالة الايطالي غاسبارو بالبي الذي قدم إلى بغداد عام ١٥٨٠م سجل إعجابه بها وذكر بأنها حديثة البناء وجميلة جدا، أمامها ساحة فسيحة جداً. يقيم في القلعة الباشا حاكم المدينة، وله فيها عساكر كثيرة من السباهية (الخيالة النظامية) والأنكشارية وغيرهم"[١٠٤]

ولم تتغير القلعة في القرن السابع عشر الميلادي، وقد وصفها تكسيرا ١٦٠٤م بعد أن حدد موضعها من المدينة وكان الباشا يقيم فيها ومعه حاشيته وجنده وعددهم داخل القلعة يتراوح بين (١٥٠٠ - ٢٠٠٠) شخص. علما إن عدد القوات التابعة لباشا بغداد في هذا الوقت تقدر بنحو أربعة عشر ألف إلى خمسة عشر الف رجل من الخيالة والمشاة، ومعظمهم يقيمون بثكنات خارج المدينة. ويبدو ان تكسير قد شاهد القلعة عن كثب فقدر محيطها الأجمالي بـ ١٥٠٠ خطوة، وعمق خندقها ثمانية أذرع، وعرضه اثني عشر ذراعاً. ومع ذلك فانه لم يسهب في وصف تحصيناتها الدفاعية واكتفى بالإشارة إلى الفتحات في أعلى الأسوار التي توجد فيها المدافع.[١٠٥]

ومن البدهي أن يأتي ذكر القلعة الداخلية أثناء الحصار والحروب، وهي على الدوام هدفا للجيوش المتحاربة، فبعد انتصار السلطان مراد الرابع على الصفويين في بغداد عام ١٦٣٨م، قامت ثلة من الجيش المهزوم بالاعتصام في القلعة الداخلية ومعاودة القتال على أمل تحقيق بعض الانتصارات، لكنهم سرعان ما يأسوا فقاموا بتفجير مخازن البارود فيها، مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من الجند وتهديم أبنية كانت قائمة في داخلها[١٠٦].

لقد رسم تافرنية القلعة الداخلية مع سور المدينة عام ١٦٥٢م وقدر حاميتها بثلاثمائة انكشاري يرأسهم أغا. (الخارطة - ٢) ووصف سورها بأنه مدعم بأبراج صغيرة تحمل فوقها مدافع بلغ عددها نحو مائه وخمسين مدفعا. وحول القلعة خندق ضيق لا يتجاوز عمقه القامتين أو الثلاث. وأمام بابها جسر يمتد فوق الخندق[١٠٧]. أما بارسونز (١٧٧٥م) الذي أبدى إعجابه بسعة القلعة وتحصيناتها، فقد وجد فيها على ما يذكر ثلاثة ألاف مقاتل، وأربعون مدفعا من البرونز منصوبة فوق أسوارها التي يربو ارتفاعها على ١٣ قدم. كما قدر عرض الخندق الذي يتقدم أسوارها بـ٣٥ قدم وعمقه ١٣قدم[١٠٨].

وفي عام ١٧٦٥م نجح نيبور في رسم أسوار بغداد وتحصيناتها في الجهة الشرقية. ومنها القلعة الداخلية التي كانت تستخدم أثناء زيارته دارا للصناعة ومستودعا للبارود والذخيرة. يقيم فيها الجنود الينكجرية وكان عددهم

في بغداد لا يقل عن عشرة ألاف جندي[١٠٩]. وسورها مدعم بعدد من الأبراج الاسطوانية بعضها كبير قائم في الأركان وبعضها الآخر صغير موزع على طول السور من كافة الجهات[١١٠]. ويصف أوليا جلبي القلعة بأنها مشيدة بالحجر والآجر، يحيط بها خندق، ولها مدخلان احدهما يؤدي إلى البلدة يواجه القبلة بشكل مكشوف وآخر كان قد تسلل منه بكر الصوباشي فأغلق بعد ذلك. كما يوجد في القلعة مخازن لحفظ العتاد والأرزاق وحمام يسمى باسم حسين باشا الشاطر، ومساكن بسيطة بنيت بالطين يتوسطها مسجد عرف بمسجد مراد خان[١١١].

(الصورة - ٩) جانب من سور القلعة أمام ساحة الميدان

إن أفضل ما خلص ألينا عن القلعة وسورها، صورة رسمت بريشة مدام ديولافوا سنة ١٨٨١م[١١٢]، تبدو فيها الواجهة الشرقية للقلعة التي تفتح على ميدان كبير أعد ليكون ساحة للتدريب الجند والرياضة الصباحية

والاستعراضات العسكرية وتنفيذ عقوبات الإعدام فضلا عن الفعاليات الأخرى، حيث تعرض فيه الخيول للبيع، ويزدحم كل يوم بالناس للاستمتاع بشرب القهوة والتدخين في المقاهي المحيطة به. (الصورة - ٩)

ولا شك إن الصورة تمثل جانبا من تحصينات القلعة وعناصرها التي يعول عليها في الدفاع ومنها السور والأبراج والمدخل والشرافات والمزاغل والسقاطات. فهي تبدو مبنية بالآجر والجص وسورها مرتفع جدا ومدعم بأبراج بعضها مربعة وأخرى اسطوانية، والأبراج متوجة بشرافات دائرية ومزودة بمزاغل شاقولية تستعمل للرمي بالبنادق، وفوق نواصيها فتحات كبيرة خاصة بالمدافع.

ان الحركة الدؤوبة التي صورتها الفنانة للجند أمام مدخل القلعة توحي بحجم القوة العسكرية الكبيرة المرابطة في داخلها. ومدخل القلعة مفتوح وسط كتلة فخمة من البناء ترتفع فوق الأسوار لعلها مصممة على شكل إيوان ينفتح على الداخل بعقد كبير، كما هي الحال في مداخل المدن والقلاع المبنية في العصر العثماني وقبله. والمدخل متوج بعقد منخفض محمي من الأعلى بسقاطات وهو أمر طبيعي بوصفة إحدى النقاط المستهدفة وقت الهجوم، والسقاطات مصممة على شكل فتحات تستعمل لصب السوائل الساخنة على الأعداء إذا ما اقتربوا من الباب.

تضم القلعة في داخلها منشآت عدة، معظمها مؤشر في خارطة فيلكس جونز، من أهمها البارود خانة وهي بناية كبيرة كانت ملاصقة للسور تشغل الزاوية الجنوبية الغربية، ثم الإسطبلات الخاصة بإيواء خيول العسكر وكانت ملاصقة لسور القلعة من الجهة الشرقية. الا ان اكبر البنايات داخل القلعة كانت تخص المدفعية (الطوبخانه) بضمنها مقرات ووحدات المدفعية وأسلحتها، ومخازن كبيرة للمدفعية. ويفهم من خريطة (بغداد شهري) الذي وضعها الرائدالركن المرحوم رشيد خوجة عام ١٩٠٨م كانت في القلعة الداخلية ورشة لتصليح الأسلحة تدعى (أسلحة تعمير خانه سي)[١١٣]. وفي القلعة سجن مخصص للمحكومين عليهم من الأهالي أكثر من ثماني سنوات وكانوا يزاولون مهنة خياطة (العبي)[١١٤]. وفي صحن القلعة بعض القبور. فضلا عن المسجد السالف الذكر وساحات للتدريب والرياضة والألعاب.

الهوامش:

(١) اليعقوبي،أحمد بن اسحاق (ت ٢٩٢) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢، ص٤٤.
(٢) ابن الفقيه احمد بن محمد (ت ٣٦٥هـ)، البلدان، تحقيق يوسف هادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦- ١٩٩٦، ص٢٧٩، ٢٩٠.
(٣) الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، م١، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢- ٢٠٠٢، ص٣٩٣.
(٤) مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠١٠، ص١٠٦.
(٥) شريف يوسف، تاريخ فن العمارة في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص٢٨٧.
(٦) أبن الجوزي (ت ٥٩٧)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام ، بغداد، ١٣٤٢هـ، ص١٨
(٧) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص٣٧٢.
(٨) مصطفى جواد واحمد سوسة، المرجع السابق، ص١١٩
(٩) عبد العزيز حميد، سور المستعين حول مدينة بغداد، ندوة العلوم العسكرية عند العرب، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٧.
(١٠) مصطفى جواد وآخرون، بغداد عرض تاريخي مصور، نقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٦٨م، ص٤٩.
(١١) أحمد سوسة، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، م١٠، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص١٤.
(١٢) عبد العزيز حميد صالح، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، من البحوث المنشورة في كتاب الجيش والسلاح، ج٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٨- ١٩٨٨، ص٣٦٨.
(١٣) شرف يوسف، المرجع السابق، ص٢٧٥
(١٤) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص٥٢.
(١٥) يقول ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في حوادث سنة ٤٨٨هـ "في ربيع الآخر، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم، وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل، فزينوا البلد، وعملوا القباب، وجدوا في عمارته. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، م٨، ص٣٩٦.
(١٦) وردت في مناقب بغداد لابن الجوزي، السلال وأراد بها السلات جمع سلة.
(١٧) إبن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج١٧، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص١٦.
(١٨) المصدر نفسه، ج١٧، ص٢١٩. إبن الجوزي، مناقب بغداد ، ص١٧.
(١٩) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص٥١.
(٢٠) [1] - ابن الجوزي ، مناقب بغداد، ص١٧
(٢١) ابن الأثير، المصدر السابق، م٨، ص٤٠٣
(٢٢) أبن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٨.

(٢٣) ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ص٢٢.
(٢٤) ابن الفوطي كمال الدين ابو الفضل (٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد، ١٣٥١، ص٢٠.
(٢٥) فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إعداد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠٠٨م، وثيقة رقم – ٥، ص٢٦.
(٢٦) المصدر نفسه، وثيقة رقم – ٦، ص٢٨.
(٢٧) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت)، ص٣٣٨.
(٢٨) أوليا جلبي، بغداد في رحلتي أوليا جلبي (١٦٤٥م و١٦٥٢م)، ترجمة صبحي ناظم توفيق، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الأجانب، منشورات بيت الحكمة، ٢٠١٣م، ص٣٩١.
(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٧٩.
(٣٠) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، الدار العربية للموسوعات، بغداد ، د.ت، ص٣٠.
(٣١) المرجع نفسه، م٥، ص٧٥.
(٣٢) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط٤، بغداد، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م، ص١٨٩ وما بعدها.
(٣٣) بوشامب، جوزيف، بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة (١٧٨٢)، ترجمة خالد عبد اللطيف، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت ٢٠١٣م، ص٤٢٣.
(٣٤) الكركوكلي، رسول، (ت١٢١٧هـ) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص٢١٩.
(٣٥) بنكغهام، جمس، رحلة بكنغهام إلى العراق، ج١، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٨، ص١٩١.
(٣٦) عماد عبد السلام رؤوف، العراق كما رسمه المطراقي زادة سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٤.
(٣٧) تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٤م، ص٨٦.
(٣٨) نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد ــ بيروت ، ٢٠١٢، ص ٢٢١.
(٣٩) جيمس فيلكس جونز: كان قائدا للسفينة الحربية "نايتوكريس" قبل عام ١٨٤٦م تلك السفينة التي كانت تسير بين البصرة وبغداد وترابط أمام المقيمية البريطانية في بغداد على الدوام. وهو في الوقت نفسه قائدا في الأسطول الهندي ومساح في بلاد بين النهرين.
(٤٠) جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيميس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار مكتبة عدنان، بغداد، ١٩١٤، ص٣٢

(٤١) تيكسيرا، بغداد في رحلة بيتر تيكسيرا (١٦٠٤م)، ترجمة أنيس عبد الخالق، منشور ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت ٢٠١٣م، ص١٤١.
(٤٢) توماس هربرت، بغداد في رحلة توماس هربرت ١٦٢٧م، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، ٢٠١٣م، ص١٨٦.
(٤٣) تافرنيه، المصدر السابق، ص٨٦.
(٤٤) بوشامب، جوزيف، المصدر السابق، ص٤٢٣.
(٤٥) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧، تعريب سليم طه التكريتي، بغداد، د.ت، ص٧٢.
(٤٦) علاء كاظم نورس، بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني، المورد، العدد٣، ١٩٧٦، ص١٩.
(٤٧) الايكر(Acre): وحدة من وحدات قياس المساحة وهو أنكلو أمريكي، ويساوي ٤٠٤٦م^{٢} تقريباً.
(٤٨) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص٣٢
(٤٩) المصدر نفسه، ص٣٦
(٥٠) شريف يوسف، المرجع السابق، ص٣٧٧.
(٥١) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة ، بغداد، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص١٥.
(٥٢) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص٣٥.
(٥٣) راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة طه سليم التكريتي، بغداد ١٩٧٨م، ص١٧٢.
(٥٤) نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ترجمة مصطفى جواد، ضمن رحلة نيبور الكاملة، دار الوراق، بيروت – بغداد، ٢٠١٢م، ص١٥٥- ١٥٦.
(٥٥) بكنغهام، المصدر السابق، ص١٩٢
(٥٦) عباس العزاوي، المرجع السابق. م٥، ص٧٥.
(٥٧) محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج١، مطبعة البصرة، البصرة، ١٣٩٢- ١٩٧٢، ص٥٨.
(٥٨) لوريمر،ج ، ج، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج٤، إعداد قسم الترجمة بمكتب ديوان أمير قطر، د. ت، ص١٧٦٣.
(٥٩) عباس العزاوي، المرجع السابق، ج٥، ص٣٠.
(٦٠) لوريمر، المصدر السابق، ص ١٨٠٢.
(٦١) سعاد هادي العمري، المرجع السابق، ص١٠.
(٦٢) اوليا جلبي، المصدر السابق، ص.٢٩٤
(٦٣) عبد العزيز حميد، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، الجيش والسلاح ، ج٥، ص٣٧١
(٦٤) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص٣٠١.
(٦٥) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٨٠٢.
(٦٦) بكنغهام، المصدر السابق، ١٩٣.
ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد ، ١٩٨٤م. ص ٦٤.

(٦٧) ابي طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة ١٢١٣ -١٧٩٩، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧٠، ص٣٦٧.
(٦٨) المصدر نفسه، هامش ٢ ص٦٧
(٦٩) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص٣١، هامش٤.
(٧٠) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج١، ص٥٥.
(٧١) فاضل بيات، المصدر السابق، وثيقة رقم – ٢٢، ص٦٢.
(٧٢) بكنغهام ، المصدر السابق، ص ١٩٣
(٧٣) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص٣٥
(٧٤) وليستد، المصدر السابق، ص٦٧
(٧٥) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص٣١، هامش٤.
(٧٦) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج١، ص٥٥.
(٧٧) شريف يوسف، المرجع السابق، ص٣٧٧
(٧٨) تافرنيه، المصدر السابق، ص٨٦.
(٧٩) تيكسيرا، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٨٠) نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ص٢٩.
(٨١) وليستد، المصدر السابق، ص٦٤
(٨٢) تافرنيه، المصدر السابق، ص٧٦
(٨٣) جيمس فيلكس جونز، المصدر السابق، ص٣٥٩
(٨٤) أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ص٣٠٤.
(٨٥) بكنغهام، المصدر السابق، ص١٩١
(٨٦) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج١، ص٥٥.
(٨٧) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص٢٩٢.
(٨٨) طاهر مظفر العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٧، ص٢٢١.
(٨٩) المنشئ البغدادي، المصدر السابق، ص٢٨.
(٩٠) مصطفى جواد وآخرون، المرجع السابق، ص٥٠.
(٩١) رحلة نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ص١٥٥، هامش (١).
(٩٢) من المعروف إن استخدام العثمانيين للمدافع بدأ على نطاق واسع منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. وكان عدد المدفعيين (الطوبجية) يختلف من ولاية إلى أخرى وقد بلغ عددهم في بغداد عام ١٦٤٧م ٦٧ رجلا. ثم ارتفع إلى ٢١٩ في عام ١٦٨٥م. وفي العام نفسه كان عددهم في البصرة ١٨٢، وفي كركوك ٥٠ طوبجي. ومن أهم أنواع المدافع التي كانت مستخدمة هي: الزنبرك وشاهي وهارون وأشهرها يسمى باليمز. أو بال يمز وهو من اضخم المدافع التي استخدمها العثمانيون خلال القرن ١٧م من حيث العيار، لذلك فقد أقتصر استخدامه لدك الحصون والقلاع ودخل في الخدمة لدى القوات البرية والبحرية.
صالح محمد العابد، و خليل علي مراد، القوات المسلحة بالعراق ١٥٣٤ – ١٨٣١، ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٥٨.
(٩٣) تافرنية، المصدر السابق، ص٨٦.

(٩٤) مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة ١٨٨١م - ١٢٩٩هـ، نقلها إلى العربية عن الفارسية علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ص٦٧.
(٩٥) أحمد سوسه، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، ص٣٠٨.
(٩٦) محمد رؤوف الشيخلي، المرجع السابق، ج١، ص٦٩.
(٩٧) نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، ١٩٧١م، ص٢٣٣.
(٩٨) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص٢٩٣.
(٩٩) فنشنسو، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، المورد، م٣، العدد٣ ، ١٩٧٦م، ص٧١-٨٩.
(١٠٠) اعتماد يوسف القصيري، قلاع بغداد، سومر، م٤٥، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص٢٠٤.
(١٠١) بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م، ص٧٣.
(١٠٢) عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ، ص٢٥.
(١٠٣) راوولف، المصدر السابق، ص١٧٤.
(١٠٤) بالبي، المصدر السابق ، ص٦٣.
(١٠٥) تيكسيرا، المصدر السابق، ص١٤١- ١٤٢.
(١٠٦) اوليا جلبي، المصدر السابق، ص٢٩٠.
(١٠٧) تافرنية، المصدر السابق، ص٧٩.
(108) Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808 ,PP, 124-125.
(١٠٩) رحلة نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ص٢٠٤.
(١١٠) نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ص٣١.
(١١١) أوليا جلبي، المصدر السابق، ص٣٠٦.عرف بمسجد القلعة، ولازال قائما داخل وزارة الدفاع، وقد هدم وأعيد بناءه سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) كما يشير اللوح المثبت على قاعدة مئذنته. ويعتقد أوليا جلبي بأنه مبني من قبل السلطان سليمان القانوني. وتاريخ بناؤه على الأرجح في أول القرن ١١هـ/ ١٧م، استنادا إلى الوقفية المؤرخة في ١٤ رمضان ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨وبموجبها حبس المالك جلال الدين بن بهاء الدين ثلاثة أرباع خان الكتان ومباني أخرى عديدة على مسجد القلعة الواقع في محلة السكة خانة (دار الضرب) داخل قلعة بغداد الداخلية.
- أنظر : محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، دار الكتب العلمية، بغداد ٢٠١٣، ص٦١.
-سعدي إبراهيم الدراجي ، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣م، ص٩٠.
(١١٢) مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة ١٨٨١م – ١٢٩٦هـ، نقله الى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد (١٣٧٨٧- ١٩٥٨)، ص١٣٦.
(١١٣) ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرات العسكرية في العراق بين ١٨٣١- ١٩١٤م، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج٥، مطبعة دار الحرية، بغداد، ١٩٨٨، ص٣٢٦.
(١١٤) (عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص١٢٨-١٢٩.

المصادر:

1. Parsons,A,Travals in Asia and Africa, London,1808 .
٢. ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،م٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣. أبن الجوزي (ت ٥٩٧)، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام ، بغداد، ١٣٤٢هـ.
٤. إبن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج١٧، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢.
٥. ابن الفقيه احمد بن محمد (ت ٣٦٥هـ)، البلدان، تحقيق يوسف هادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦- ١٩٩٦.
٦. ابن الفوطي كمال الدين ابو الفضل (٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد، ١٣٥١هـ.
٧. ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨
٨. ابي طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة ١٢١٣ -١٧٩٩، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧٠.
٩. أحمد سوسة، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، م١٠، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
١٠. أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الأول، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٦٥.
١١. الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، م١، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢- ٢٠٠٢.
١٢. الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٣. الكركوكلي، رسول، (ت١٢١٧هـ) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
١٤. المحبي، محمد أمين بن فضل الله (١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت).
١٥. اليعقوبي،أحمد بن اسحاق (ت ٢٩٢) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٦. أوليا جلبي، بغداد في رحلتي أوليا جلبي (١٦٤٥م و١٦٥٢م)، ترجمة صبحي ناظم توفيق، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الأجانب، منشورات بيت الحكمة، ٢٠١٣.
١٧. بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.
١٨. بنكغهام، جمس، رحلة بكنغهام إلى العراق، ج١، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٨.
١٩. بوشامب، جوزيف، بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب سنة (١٧٨٢)، ترجمة خالد عبد اللطيف، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت ٢٠١٣م.
٢٠. تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٤م.

٢١. - توماس هربرت، بغداد في رحلة توماس هربرت ١٦٢٧م، ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، ٢٠١٣.
٢٢. تيكسيرا، بغداد في رحلة بيتر تيكسيرا (١٦٠٤م)، ترجمة أنيس عبد الخالق، منشور ضمن كتاب بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب، منشورات بيت الحكمة، مطبعة كركي، بيروت ٢٠١٣.
٢٣. جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧، تعريب سليم طه التكريتي، بغداد، د.ت.
٢٤. جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيميس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار مكتبة عدنان، بغداد، ١٩١٤.
٢٥. راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة طه سليم التكريتي، بغداد ١٩٧٨.
٢٦. سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة ، بغداد، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٢٧. سعدي إبراهيم الدراجي ، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣.
٢٨. شريف يوسف، تاريخ فن العمارة في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨٢.
٢٩. صالح محمد العابد، و خليل علي مراد، القوات المسلحة بالعراق ١٥٣٤ – ١٨٣١، ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨.
٣٠. طاهر مظفر العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٧.
٣١. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، الدار العربية للموسوعات، بغداد ، د.ت.
٣٢. عبد العزيز حميد صالح، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، من البحوث المنشورة في كتاب الجيش والسلاح، ج٣، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٨-١٩٨٨.
٣٣. عبد العزيز حميد، سور المستعين حول مدينة بغداد، ندوة العلوم العسكرية عند العرب، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
٣٤. عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.
٣٥. علاء كاظم نورس، بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني، المورد، العدد٣، ١٩٧٦.
٣٦. عماد عبد السلام رؤوف، العراق كما رسمه المطراقي زادة سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥م.
٣٧. فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إعداد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠٠٨م، وثيقة رقم – ٥.
٣٨. فنشنسو، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، المورد، م٣، العدد٣ ، ١٩٧٦م.
٣٩. لوريمر،ج ، ج،دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج٤،إعداد قسم الترجمة بمكتب ديوان أمير قطر،د. ت.

٤٠. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط٤، بغداد، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م.
٤١. محمد رؤوف الشيخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، ج١، مطبعة البصرة، البصرة، ١٣٩٢- ١٩٧٢.
٤٢. محمد سعيد الراوي، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، دار الكتب العلمية، بغداد ٢٠١٣.
٤٣. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة ١٨٨١م - ١٢٩٩هـ، نقلها إلى العربية عن الفارسية علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
٤٤. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كندة – العراق سنة ١٨٨١م – ١٢٩٦هـ، نقله الى العربية علي البصري، دار منشورات البصري، بغداد ١٣٧٨- ١٩٥٨.
٤٥. - مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠١٠.
٤٦. مصطفى جواد وآخرون، بغداد عرض تاريخي مصور، نقابة المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٦٨م.
٤٧. نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب ، النجف، ١٩٧١م.
٤٨. نيبور، بغداد في رحلة نيبور، ترجمة مصطفى جواد، ضمن رحلة نيبور الكاملة، دار الوراق، بيروت – بغداد، ٢٠١٢م.
٤٩. نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد – بيروت ، ٢٠١٢.
٥٠. ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الثويني، بغداد ، ١٩٨٤م.
٥١. ياسين عبد الكريم، تاريخ الثكنات والمقرات العسكرية في العراق بين ١٨٣١- ١٩١٤م، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح، ج٥، مطبعة دار الحرية، بغداد، ١٩٨٨.

Fortifications of Eastern Baghdad through Ottoman era

Phd. Saady I. Al- Daragy
Center of revival of Arabian science heritage
Baghdad university

(Abstract)

The wall of Eastern side considers one of the important prominence architect sign of Baghdad city through Abbasid era , it is surrounded by many shops, houses , the work had started in the period of caliph(Al-Mustathher Billah)

The reason behind building wall of Eastern Baghdad was wars , in addition to what the city had exposed floods of Tigris that is the matter which encouraged Abbasid caliph's to surround it by wall to save from floods and embargo .

This research tried to stop on the nature of building it knowing its dimensions as well as the era of city through estimating it by foreigners or maps that had been drew by engineers through 19^{th} century , it also counted the number of big towers that can be considered castles , in addition to count small one to enhance the wall and strength it .

The research concentrated on the entrance of the city with its four gates (Al-Sultan, Al-Thufariya ,Al-Tulasam and klotha)These gates as usual ones open through the day and close at night.

The design of towers is different from others , the two doors (Al-wastany and Al-tulasam are circles whereas Al-Sultan door designed as square angles tower ,but Klotha one was precious.